



ما أعجب الطريقة التي يفكر بها هذا النظام البائس! إنه فاجأته ثورة شعبية عارمة لم يحسب حسابها، فماذا يصنع؟ لعله راقب الغضب الشعبي الذي انفجر في بعض البلاد القريبة، ولا بد أنه توقع أن يعبر ذلك الغضب الحدود ذات يوم، ولعله ظن أن يخرج إلى الشوارع مئات هنا ومئات هناك، فرسم أحسن خطة يمكن أن تتفق عنها عبقريته: يمسك بهذه المئات ويرميها في السجون خمسين سنة حتى تتغصن وينساحتها الناس، ويعود إلى العيش بأمان كما كان.

لكن الذي حصل غير ما كان يتوقع، فلم يخرج مئات بل خرج شعب، والوقت أضيق من أن يسمح له باختراع خطة جديدة، فماذا يفعل؟ قرر أن يطبق الخطة القديمة نفسها! ولكن السجون لا تتسع لسكان مدن كاملة، فما الحل؟ لا بأس، يمكنه أن يحول المدن نفسها إلى سجون! وهكذا حرك الجيش لحصار المدن ووزع في شوارعها القتلة وعلى سطوح أبنيتها القناصة، فصارت المدينة سجناً، وصار أهلها مساجين، وارتاح النظام إلى حين.

ويل لك أيها النظام! أظنت أنك حلت مشكلتك بالقمع والإجرام؟

لقد استشهد في حملاتك الظالمة الآثمة على المدن مئات، وقتل قبلها في المظاهرات المسالمة مئات، واعتقلت في حملاتك الظالمة الآثمة الآلاف، واعتقلت قبلها في المظاهرات المسالمة الآلاف... ولكن لا تعلم أن في المدن التي اجتاحتها جيوشك مليين من الناس، وأنهم كلهم -إلا قليلاً من الخونة والعملاء لا يكادون يُذكرون- قد ركبوا مراكب الثورة ولن يتراجعوا منها إلا على شواطئ الحرية، على شواطئ العزة والكرامة؛ فكيف خيل لك خيالك أن درعا ونووى وجسر الشغور ومعرة النعمان ستموت لو حاصرتها شهراً وقتلت واعتقلت من أبطالها بضعة آلاف؟ إنما هذه أمنيّ نهار وأحلام ليل، وأقرب إليك منها كوابيس الليل والنهر!

ويل لك أيها النظام! لقد خانك دهاؤك وارتدى مكرك سهماً إلى صدرك، فهذه درعا المحاصرة الصامدة ما يزال صناديدها وأبطالها يخرجون في المظاهرة بعد المظاهرة، وكذلك يفعل أبطال اللاذقية وبانياس وجبلة وحمص ودمشق ودرعا... هذه وغيرها تعيش منذ أسابيع طويلة تحت احتلال قواتك الغاشمة الظالمة، ثم لا يمنعها احتلالك وإرهابك من أن تخرج فيها المظاهرات وتتشَّقّ حناجر أبطالها بالتكبيرات. هل استطعت أن تمنع فيها المظاهرات أو تكمم أفواه الناس فتخنق في الصدور التكبيرات؟

واعلم أنها تنتظر كلها استئناف الانتفاضة من جديد. هل ستحاصرها وتحتلها قوات احتلالك إلى الأبد؟ فلتحاصرها شهراً أو شهرين أو سنة وستين، وماذا بعد؟ آجاً أو عاجلاً ستخرج قواتك الغازية من مدن حوران ومن جسر الشغور ومعرة

النعمان، آجلاً أو عاجلاً سينفك الحصار، وسوف ترى يومها من أسود هاتيك المدن الأعاجيب!

المصادر: